

مَسْئَلَةٌ
فِي الْأَكَاكِلِ فِي الْعَبْدِ ذِي الْحَبَةِ
لَمَّا هُوَ خَيْرٌ وَجُودٌ مَجْمُوعٌ فِي نَفْسِهِ

لشَّيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِي الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ

مُحَقِّقٌ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ رِشْدُ الرَّسَّالِمِ
أَعْلَمُ تِلْكَ بِكَلِمَةِ أَصْلِ الدِّينِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ، فهذه رسالة لم يسبق نشرها لشيخ الإسلام « ابن تيمية » رحمه الله ، وهي واحدة من أربع رسائل مخطوطة في مكتبة المكنب الهندي بلندن تحت رقم : دلى عرى ١٨٥٧ . وأولى هذه الرسائل رسالة بعنوان « مسألة فيمن يعتقد أن الكواكب لها تأثير في الوجود » وتشغل الصفحات من ظ ١٠٧ إلى ص ١١٦ . وقد سبق نشر هذه الرسالة ضمن الجزء الأول من مجموع الفتاوى الكبرى (ص ٣٢٣ - ٣٢٦) ، ط . فرج الله الكردي ، القاهرة ١٣٢٦ ، (وأعيد طبعها في مجموع الفتاوى بالرياض) .

وأما الرسالة الثالثة فتقع في الصفحات : ظ ١٢١ - ١٢٦ وتبدأ كما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. أحمد بن تيمية إلى المولى السيد السلطان الملك المؤيد أبيه الله ... » وهي رسالة لم تنشر بعد ، ونص في أولها أنها لابن تيمية .

والرسالة الرابعة هي : مسألة في قرب العبد إلى الرب وقرب الرب إلى العبد ، وسبق نشرها ضمن مجموع فتاوى الرياض (ج ٥ ص ٢٢٦ - ٢٤٦) وتشغل هنا صفحات ١٢٦ - ١٣٧ . وجميع هذه الرسائل مع الرسالة الثانية التي أحققها وأنشرها هنا بخط واحد وبنفس عدد السطور والكلمات .

أما رسالتنا فهي بعنوان : « فصل فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه » وتستغرق الصفحات ١١٧ - ١٢١ من هذه المجموعة .

وصف المخطوطة :

كُتبت هذه الرسالة بخط نسخ حديث منقوط ، ومسطرتها ١٧ سطرًا في كل سطر حوالي ١١ كلمة ، ورقمت الصفحات في أعلاها إلى جهة اليسار بأرقام عربية (الأرقام في وجه الصفحات وليست في ظهورها) ورقمت المكتبة الصفحات بأرقام أوربية .

وفي أعلى الصفحة الأولى من الرسالة كتبت : « مسألة فيما إذا كان العبد محبة » وفي وسط الصفحة كتب جزء من البسملة هكذا : بسم الله الرحمن ولم تظهر بقية البسملة وفي أسفل الصفحة ختم مكتبة الحكومة الهندية هكذا :

The Government of India وفي وسط الختم كتب Delhi Mss. أي مخطوطات دلهي . وظهر رقم الصفحة في أعلاها إلى اليسار وهو : ١١٧ .

وتبدأ الرسالة في ط ١١٧ . وأولها : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وفي السطر الثاني : « فصل : فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق » وبعد هذا حروف من كلمة « ومحمود » لم تظهر منها الدال ولم يظهر حرف الجر « في » بعدها .

وأما الكلمات الأخيرة في آخر صفحة من الرسالة وهي ص ١٢١ فهي : « والشقى من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذى جاءت به الشريعة ، فهذا هذا ، والله أعلم .

ولم ينص في هذه الرسالة على أنها لابن تيمية ولكن وجودها بين ثلاث رسائل أخرى كلها لابن تيمية ، وكونها بنفس الحظ وبنفس الهيئة ، فضلاً عن أسلوبها وموضوعها ، كل هذا يجعلنى أكاد أجزم بكونها لشيخ الإسلام « ابن تيمية » رحمه الله .

وتلى رسائل ابن تيمية رسالة للغزالي كتبت بخط مختلف وهي رسالة المعارف العقلية للغزالي ، وضمت في مجلد واحد إلى رسائل ابن تيمية السابقة .

ولم ينص على اسم ناسخ هذه الرسائل ، ولكن ذكر في الرسالة الأولى أنها : « ملك الفقير أحمد الياسطى بن عيد الياسط ثم ملكه عبد الرحمن أحمد خادم الإمامين الأعظمين » .

ولعل موضوع هذه الرسالة الصغيرة هو أبجل موضوع وأقربه إلى المناسبة التي ضمت هذه المجموعة من الأبحاث والمقالات ، أعني مناسبة تكريم أخى وأستاذى الأستاذ محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين ، مد الله تعالى في عمره ونفع بعلمه المسلمين .. اللهم آمين .

محمد رشاد سالم

فيما اذا كان الجديد

سرايا الرحا



بسم الله الرحمن الرحيم

نَحْمَدُكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا مَنْ لَا يَمُوتُ وَلَا يَمُوتُ
نَفْسُهُ مَوْجِدٌ لِمَا يَدْرِيهِ الْمُحْتَمِلُ لِقُدْرَتِهِ وَالْقُدْرَةُ مِنْ أَسْرَارِهِ
يَجْعَلُ الْجَسَدَ الَّذِي فِيهِ الْحَيَاةُ بِجِلْدِهِ عَرَضًا يَكُونُ فِيهِ حَيَاةٌ وَفِيهِ
وَأَدْرَاكَ الْحَقِيقَةَ فِي جِلْدِهِ وَأَوْفَى بِالْعَهْدِ إِذْ أَمَانَةً وَصَلَتْ الرِّقَّةُ
فِي نَفْسِهِ النَّبِيِّ غَايَةً خَلْقًا جَلِيلًا يَسْمَعُ السَّمْعَ بِقُوَّةٍ وَتَقْوَى
الْعَالِيَةِ الْعَلِيَّةِ وَالْمُرْتَلَا الْعَالِمَ يَطْلُبُونَ نَجْدًا وَالحَدِيثُ الْإِسْلَامِي
الْمَأْمُورُ أَحَدُهُ جِلْدًا يَطْلُبُ هَذَا الْعَالَمَ أَوْ يَجْعَلُ لِقُدْرَتِهِ تَقْوَى
وَالْمُرْتَلَا خَبِيرًا بِمَا يَفْعَلُهُ وَهَذَا جِلْدُ الرِّقَّةِ فِي اللَّهِ خَلْقًا فِيهَا
مَجْدُ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ أَدْرَاكَ الْحَقِيقَةَ وَفِيهَا جِلْدُ الْمَعْرِفَةِ الْعَالِيَةِ
وَالْوَفَى بِالْعَهْدِ خَلْقًا فِيهَا جِلْدُ الْأَجْسَادِ وَالرُّوحِ الْمُسَوِّمِ بِهَا قِيَمَةً
الْأَسْرَارِ بِقُوَّتِهَا إِلَى جِلْدِ الْحَقِّ الَّذِي يَطْلُبُ مَدْحَ أَحَدٍ وَلَا خَوْفَ رُوحٍ
بِأَدْرَاكَ الْأَسْرَارِ فِي جِلْدِ الْحَقِّ الَّذِي يَطْلُبُ مَدْحَ أَحَدٍ وَلَا خَوْفَ رُوحٍ
وَسِرُّهُ لَا يَلْتَمِزُ مَجْدَ سَمْعِ الْأَصْوَاتِ الْجَسَدِ وَفِيهِ رُوحُ الْأَشْيَاءِ الْبَاهِيَةِ
وَمَجْدُ الرُّوحِ الْحَسَنَةِ الْمَذْكُورَةِ يَلْتَمِزُ نَجْدًا وَيَتَغَوَّرُ فِي نَفْسِهِ
الْبَاهِيَةِ وَالْبَاهِيَةِ يَلْتَمِزُ سَمْعَ سَمْعِهِ بِالْبَاهِيَةِ يَلْتَمِزُ سَمْعَهُ
الْمَحْرُومَ جِلْدًا وَارْتَمَى بِمَا يَفْعَلُهُ نَفْسُهُ الْأَسْرَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ

واما قوله "توابع عقاب" فان "توابع" ما هو باقية النفس في شئ
 به "و" "عقاب" ما هو باقية النفس في شئ به "و" "توابع" ما هو باقية النفس في شئ به
 "الاجسام" من كل جسم من الجن "بعض" هو اسما ما هو جديد "الربا" المدة
 مواجعة "الحج" و "جسد" و "الهي" "الوعاء" "الوعيد" و "اللاه" "الما" و
 "الوعاء" "الوعيد" هو تدبير المظهر والمبني "عوز" على "الآخر" "الشرع"
 "الخير" المظهر "الطبيعة" "الطبيعة" مبدا "عوز" على "الايان"
 "الشرع" "العلم" و "العبد" في "الايان" الذي يعلم "توابع"
 "الحج" في "الآخر" "الشرع" "الشرع" الذي يعمل "العلم" و "الحج"
 "الشرع" في "الآخر" و "الشرع"

بسم الله الرحمن الرحيم

/ بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

فَإِذَا كَانَ فِي الْعَبْدِ مَحَبَّةٌ لِمَا هُوَ خَيْرٌ وَحَقٌّ وَمَحْمُودٌ [فِي] نَفْسِهِ ، فَهُوَ يَفْعَلُهُ لِمَافِيهِ مِنَ
 الْمَحَبَّةِ لَهُ ، لَا لِلَّهِ ، وَلَا لِغَيْرِهِ مِنَ الشُّرَكَاءِ ، مِثْلُ أَنْ ^(١) يُحِبُّ الْإِحْسَانَ إِلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ ، وَيُحِبُّ الْعَقُو
 عَنْ أَهْلِ الْجَنَاحَاتِ ، وَيُحِبُّ الْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ ^(٢) وَإِدْرَاكَ الْحَقَائِقِ ، وَيُحِبُّ الصَّدَقَ وَالْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءَ
 الْأَمَانَةِ وَصِلَةَ الرَّحِمِ ، فَإِنَّ هَذَا كَثِيرٌ غَالِبٌ فِي الْخَلْقِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ ، فِي قُوَى النَّفْسِ
 الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ طُلَّابِ الْعِلْمِ يَطْلُبُونَهُ مَحَبَّةً ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ :
 طَلَبْتُ هَذَا الْعِلْمَ - أَوْ قَالَ - : جَمَعَتْهُ اللَّهُ ؟ ، فَقَالَ : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَكِنْ حُبَّبَ إِلَيَّ أَمْرَ فَقَعَلْتَهُ .
 وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ النَّفُوسِ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ فِيهَا مَحَبَّةً لِلْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ وَإِدْرَاكَ الْحَقَائِقِ ، وَقَدْ يَخْلُقُ
 فِيهَا مَحَبَّةً لِلصَّدَقِ وَالْعَدْلِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَيَخْلُقُ فِيهَا مَحَبَّةً لِلْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ لِلنَّاسِ ، فَهُوَ يَفْعَلُ هَذِهِ
 الْأُمُورَ : لَا يَنْتَقِرُ بِهَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ ، وَلَا يَطْلُبُ مَدْحَ أَحَدٍ وَلَا خَوْفًا مِنْ ذَمِّهِ ، بَلْ لَأَنَّ هَذِهِ
 الْإِدْرَاكَاتِ وَالْحَرَكَاتِ يَنْتَعِمُ بِهَا الْحَيُّ وَيَلْتَذُّ بِهَا ، وَيَجِدُ بِهَا فَرْحًا وَسُرُورًا ، كَمَا يَلْتَذُّ بِمَجَرَّدِ سَمَاعِ الْأَصْوَاتِ
 الْحَسَنَةِ ، وَمَجَرَّدِ رَوْيَةِ ، الْأَشْيَاءِ الْبَهِيْجَةِ ، وَمَجَرَّدِ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ .

(١) إِنْ : مَطْبُوعَةٌ فِي الْأَصْلِ .

(٢) وَالْمَعْرِفَةُ : مَطْبُوعَةٌ فِي الْأَصْلِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ طُمَسَتِ الْحُرُوفُ الْأَخْيَرُ مِنَ السَّفَرِ .

يَحْتِثُ تَقَرُّؤًا : يَحْتِثُ وَيَحْضُرُ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَاثِيَةً .

الكتاب
 في طلب العلم
 في فضل العلم

وكذلك يلتذ ويقرح ويتنعم بمعرفة نفسه للأشياء التي تُعرف بالباطن ، ويلتذ أيضا بشهود باطنه وإحساسه ، كما يلتذ بشهود ظاهره وإحساسه ، وكذلك يلتذ بما تعقله نفسه من الأمور الكلية / التي تعقلها ، وكذلك في أفعاله وحركاته ، كما يلتذ بأكله وشربه وتكاحه ، وكما يلتذ برحمته وإحسانه إلى أهل الحاجات من أقاربه وغير أقاربه ، ويلتذ بالجلود والإعطاء ، ويلتذ بالعفو عن المسيء إليه وترك معاقبة المسيء ، كما يُذكر عن المأمون أنه قال : لقد حُبب إليّ العفو حتى إنى أخاف ألا أثاب عليه . فهذه مكارم الأخلاق التي تكون في بني آدم ، كما كانت تكون في أهل الياضية ، فهذا الحس وهذه الحركة الإرادية يتنعم به الحى ويتفجع به ويلتذ في الحال .

ولأيقال : إن فعل ذلك لغرض ولا لطلب منفعة أو دفع مضرة ، بل فيه جلب منفعة ودفع مضرة في نفسه ، كما في نفس الآكل والشارب يستجلب به منفعة الشبع ، ويستدفع به مضرة الجوع ، فهكذا سائر هذه الأمور يدفع بها عن نفسه مضرات ، ويستجلب لها بها لذات .

ولهذا يُقال : اشتقت نفسه ، وشفيت صدرى ، فيجد شفاءً في صدره ، كما يجد شفاءً في جسمه بزوال المرض وحصول العافية .

وهذه أمور محسوسة بالباطن والظاهر ، وهي التي أدرك حسنها من قال : إن العقل يُقْبَح ويُحَسَّن ، ومن قال : إن العلم بحسنها لصفة قائمة بها معقولة : إما بالبدئية وإما بالنظر ، أو معلومة بالشرع .

ولقد صدق في قوله : إن حسنها وقبحها لمعنى قام بها ، وصدق أن ذلك قد يُدْرَك بالعقل ، وقد يدرك بالشرع .

وقد غلط الأول في نفيه ^(١) أن يكون ذلك لحافيه من جلب منفعة إلى العبد ودفع مضرة راجعة إلى نفسه ، وإن كان ذلك في الدار الآخرة أيضا ، فإن / ذلك أمر محسوس .

والثاني ^(٢) غلط حيث اعتقد أن ذلك ليس لصفة في الفعل ، وأن الحسَن والقبح ليس إلا مجرد

^(١) في الأصل : في نفسه ، ولعل الصواب ما أثبت . وابن

لبنية يعقب هنا على الآراء المختلفة في هذا الموضوع ، ولعله

يخصد بالآول الكلام الذي سبق ذكره وفيه : « لا يقال : إن فعل

ذلك لغرض ولا لطلب منفعة أو دفع مضرة ... إلخ » .

^(٢) الرأى الثاني الذي يشير إليه ابن تيمية هو رأى

الأشاعرة في مسائل الحسَن والقبح .

إضافة الفعل إلى الأمر والنهي ، فأصاب بعض الإصابة في كونه جعل ذلك من الملازمة للطبع والمنافرة عنه ، ومن باب كمال المتصف بذلك ونقصه ، ولكن غلط في ظنه أن الحسن والقبح العقليين صادرتين عن ذلك ، ولم يغلطا كل الغلط ، فإن الحسن والقبح : الذي يدرك بالحس والعقل وبالشرع ، وبالبصر والنظر والخبر ، بالمشهور الظاهر وبالباطن ، وبالمعقول القياسي وبالأمر الشرعي ، هو في الأصل من جنس واحد ، فإن كلاً يُعَلَّمُ بذلك ، يثبت به مالا يُعَلَّمُ بالآخر ويثبت به .

وهذه الطرق الثلاثة : السمع ، والبصر ، والعقل ، هي طرق العلم :

طرق العلم الثلاثة

١ - البصر - وهو المشهود الباطن والظاهر - يدرك ما في هذه الحركات والإزادات من الملازمة والمنافرة ، والمنفعة والمضرة العاجلة .

٢ - السمع - وهو وحى الله وتنزيله - يخبر بما يقصّر الشهود عن إدراكه من منفعة ذلك ومضرته في الدار الآخرة . الحكاية

فتمام الدين بالفطرة وتقديرها ، لا بتحويلها وتغييرها ، فإن كل مولود يولد على الفطرة ، والله خلق عباده خُتفاء فاجتالهم الشياطين وحرّمت عليهم ما أحل الله لهم ، وأمرهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطاناً . هكذا أخبرنا الله فيما روى عنه رسوله في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم ^(١) .

فهم بفطرتهم يحبون الله ويطعون له ويحجون له ويحجون إليه من الطيبات ، والنجية تتبع الشهود والإحساس ، فهذا الذي في فطرتهم من الحس والحركة إلى عبادة خالقهم مما يعينهم / عليها من طيبات الرزق ، هو وجه الحسن الثابت بالأفعال الحسنة : مأمورها ومباجها ، فإن ذلك كله حسن ، لما فيه من هذه الملازمة المناسبة والنجية التي فطروا عليها ، فما كان من ذلك مشهوداً في عالم الشهادة أدرك بالشهود والإحساس ، وما كان غيباً أدرك بالسمع الذي جاء به المرسلون .

خطبه : ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلكم ... وإلى خلقت عبادة خُتفاء كلهم ، وإنهم اتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً والحديث مع اختلاف في اللفظ في المسند =

(١) الحديث عن عيسى بن حماد الغشاشي رضي الله عنه في : مسلم ٤ / ٢١٩٧ - ٢١٩٨ (كتاب الجنة وصلة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) وأوله : ... أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في

٣ - العقل
(عقل)

والعقل يعقل هذا المشهود وهذا المسبوح ، فلا بد من أن يعقل ما أمر الله به وأخبر ، كما لابد أن يعقل ما شهدنا وحسبنا ، فيعقل الشهادة والغيب ، بمعنى ضبط العلم بخبران ذلك على وجه كلي ثابت في النفس .

لكن زعم أولئك أن العقل يدرك من حسن الفعل وقبحه ما فيه ملائمة باطل^(١) ، كما أن زعم أولئك أن الشرع يأتي بحسن أو قبح لا ملائمة فيه باطل ، فأولئك إنما تقوا ذلك لأنهم أرادوا أن يشعروا للرب من جنس ما عقلوه في البشر ، وأنكروا الملائمة في حقه والمنافرة . وهؤلاء أرادوا أن يشعروا شرعاً محضاً مبنياً على محض المشيئة ليس فيه ملائمة ولا منافرة ، وكلا الفريقين أنكر حقيقة عبية الله ورضاء تلافيعه الحسنة ، وبغضه للسيئين بها ، وهذا هو المعنى الذي يُعبرون عنه في حقنا : الملائمة والمنافرة ، وإنما اتوا من جهة ما فيهم من نوع تعليم^(٢) .

ولهذا أنكر أولئك - مع إنكارهم هذه الصفات - أنكروا التقدير ، وهو عموم قدرته ومشيئته وخلقه ، وأنكر هؤلاء ما في الشريعة من المناسبات والخاصات التي تنبئ عليها الأمر والنهي ، وأنكروا أيضاً ما في خلقه ومشيئته من الحكمة والرحمة .

- (ط - الخليل) ١٦٢/٤ .

^(١) فبعد أن تبينة بملك المعزلة وأنها من تعبد بأن العقل وحده - بدون الشرع - كاف في إدراك الحسن والضع ، وأن حكم العقل يعنى عن الشرع ، لأن النفس تابع لحكمه حكم العقل .

^(٢) يقول ابن تيمية في : العقل في مسألة تحسين العقل وتقييده ، (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٨ : ٣٢١ - ٣٢٩ ، مطبع الرياض ١٣٨١) : « فاشأ في مسألة تحسين والتشجيع على ثلاثة أقوال : طرزان بويست ، الطرزي الواحد : قول من يقول بالحسن والتشجيع يجعل ذلك صفات ذاتية للعقل لا رتبة له ، ولا يعمل الشرع إلا كاشفاً عن تلك الصفات ، لا سيما الشيء من الصفات ، فهذا قول المعتزلة ، وهو متعبد . وإذا انضم إلى ذلك قياس الرتبة على خلقه ، فقبل : ما حسن من الخلق حسن من الخلق ، وما قبح من الخلق قبح من الخلق ، ترب على ذلك ألوال الفطرية المائلة ، وما ذكره في التعجيز

بالعقل ... ولما الطرف الآخر ... فهو قول من يقول : لا الأقوال ثم تشميل على صفات من أحكام ، ولا على صفات من على الأحكام . بل التقدير أمر بأحد القائلين دون الآخر فليس الإزاد ، لا الحكمة ولا تربية مصلحة في الخلق والأمر . يقولون : إنه يجوز أن يأمر الله بالشك بالله ، ومنه عن عبادة وحده ، ويجوز أن يأمر بالطعام والفواحش ، ومنه عن غير والتكوى ، والأحكام التي توصف بها الأحكام مجرد نسبة وإضافة فقط ، وليس المعروف أن تقسم مفرقاً بينهم ولا الشكر في تقسم مكرراً عنهم ... ليس في تقسم الأمر عنهم المعروف ولا متكر ولا غيب ولا غيب ، إلا أن يعبر عن ذلك بما يلزم القطار ، وذلك لا يقتضي عليهم كون الرب رب المعروف وبغض الشكر ... وهذا خلاف القوموس والعقول ، وقد قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وينبغي تعنى الإنسان بالرسول كتمثيل القليل بالفعال ، لا يستلزم ثبوت صحة لا على العقل والبدن .

فهؤلاء أثبتوا القدرة والمشية والخلق ، ولكن قصروا في إثبات الرحمة والحكمة والعدل ، وأولئك / أثبتوا شيئا من الحكمة والعدل ، ولكن قصروا في ذلك أيضاً ، مع تقصيرهم في القدرة والمشية والخلق ، وإن كان كل من الفريقين لا ينكر أمر الشرع ونبيه .

لكن غلاة أولئك دفعوا بعقوبتهم كثيرا مما جاء به الشرع من الأمر والنهي ، وقالوا : هذا يخالف الحكمة المعقولة ، كما فعل إبليس وذووه . وغلاة هؤلاء دفعوا أيضا الأمر والنهي وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، كما قال المشركون . وإبليس أغلظ كفرا ، ولهذا كانت بدعة أولئك أقرب إلى السنة والجماعة .

وهذه الأمور التي تحبها النفوس والقلوب بغطرتها هي المعروف ، والتي تبغضها هي المنكر ، فإن المعرفة هي إحساس مع حجة ، والإنكار إحساس مع بقضة . فأما ما لم يُحَسَّ بحال فلا " يُعرف ولا ينكر ، ومالا يُحب ولا يبغض بحال فلا يُعرف ولا ينكر . وإذا حَدَّثَ الرجل بمحدث فأنكره لجهله

وعلا خلاف النص .

٣ النوع الثالث : أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا ، وإذا نهي عن شيء صار قبيحا ، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع .

٤ والنوع الثالث : أن يأمر الشارع بشيء ليحسن العبد : هل يطعمه أم يعصيه ؟ ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم بدينه ، فلما أسلما وثله للحين حصل المصود فقده بالذبح ... فالحكمة منشؤها من نفس الأمر ، لا من نفس المأمور به .

وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة ، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك ، بدون أمر الشارع .

والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الانتحان ، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع . وأما الحكماء والجمهور فاثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب .

(١) في الأصل : ولا ، وهو تحريف .

والفقهاء والجمهور السلفين يقولون : الله حرم الفحرمات فحرمت ، وأوجب الواجبات فوجبت ، فعلا شيئا : إيجاب وتحريم ، وذلك كلام الله وعطابه . والثاني : وجوب وحرمه ، وذلك صفة للفعل . والله تعالى حكيم : علم بما تحتمله الأحكام من المصالح ، فأمر ونهى لعلمه بما في الأمر والنهي والأمور والمخاطور من مصالح العباد ومفاسدهم ، أو هو أثبت حكم الفعل ، وأما صفة فقد تكون ثابتة بدون الخطاب .

وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

١ أحدها : أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم مشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقبيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن . لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة ، إذا لم يرد شرع بذلك . وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتفويض قراهم قالوا : إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ، ولو لم يتفقت إليهم رسولا ،

فإنه أنكر مالا أحبه سمعه ، وكذلك الحديث المنكر عند أهل الحديث هو مالم يسمعه فيحيوه لصحته وصدقه ، فإذا سمعوه بذلك أنكروه بعد إحساسه .

والمقصود هنا أن محبة هذه الأمور الحسنة ليس مذمومة بل محموداً ، ومن فعل هذه الأمور لأجل هذه المحبة لم يكن مذموماً ولا معاقباً ، ولا يقال إن هذا عمله لغير الله ، فيكون بمنزلة المرائي والمشرك ، فذلك هو الشرك المذموم . وأما من فعلها مجرد المحبة الفطرية فليس بمشرك ولا هو أيضاً متقرباً بها إلى الله ، حتى يستحق عليها ثواب من عمل الله وعبيده ، بل قد يشبه عليها / بأنواع من الثواب : إما بزيادة فيها في أمثالها ، فينتعم بذلك في الدنيا ، ولهذا كان الكافر يُجزى على حسناته في الدنيا وإن لم يتقرب بها إلى الله ، ولو كان يفعل كل حسن إذا لم يفعل الله مذموماً يستحق به صاحبه العقاب لما أطعم الكافر بحسناته في الدنيا إذا كانت تكون سيئات لا حسنات ، وإذا كان قد ينتعم بها في الدنيا ويُطعم بها في الدنيا فقد يكون من قوائد هذه الحسنات وتيجتها وثوابها في الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه ، فيكون له عليها أعظم الثواب في الآخرة .

وهذا معنى قول بعض السلف : طلبنا العلم لغير الله فأبى ^(١) أن يكون إلا لله . وقول الآخر لما قيل له : إنهم يطلبون الحديث بغير نية ، فقال : طلبهم له نية ، يعني نفس طلبه حسن ينفعهم . وهذا قيل في العلم لخصوصيته ، لأن العلم هو الدليل المرشد ، فإذا طلبه بالحبّة وحصله عرفه الإخلاص لله والعمل له .

ولهذا قال من قال : هو من النظر الأول الذي هو مقدمة العرفان ، فإن القصد والنية مشروط بمعرفة المقصود المتوهم به ، فإذا لم يعرفه بعدد كيف يتقرب إليه ؟ فإذا نظر بحجة أو غيرها فعلم المعبود المقصود صح حيثئذ أن يعبد ويقصده . وكذلك الإخلاص كيف يخلص من لم يعرف الإخلاص ؟ فلو كان طلب علم الإخلاص لا يكون إلا بالإخلاص لرب الدّور ، فإن العلم هو قبل القصد والإرادة من إخلاص وغيره ، ولا تقع الإرادة والقصد حتى يحصل العلم .

وعلى هذا فمأذكرة الإمام أحمد عن نفسه / هو حسن ، وهو حال النفوس المحمودة المستقيم

حالتها . ومن هذا قول خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ : إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوايب الحق . فهذه الأمور كان يفعلها حجة لها تخلق على ذلك وفطر عليه ، فعلمت أن النفوس المطبوعة على حجة الأمور المحمودة وفعلها لا يوقعها الله فيما يضاد ذلك من الأمور المذمومة ، لما قال لها : قد خشيت على نفسي . قالت : كلا والله لا يخزيك الله أبداً .. الحديث وهو في الصحيحين^(١) .

وقد تنازع الناس في النبوة : هل هي مجرد إنباء الله لعبده ، أو هي راجعة إلى صفات كمال فيه ؟ كما تنازعوا في النبوة : هل هي مجرد تعلق خطاطب الشارع ، أو هي راجعة إلى صفات يتميز بها ، ولابد من خطاب إلهي أو إنباء ؟^(٢) ولهذا كانت النبوة أجزاءً ، كما قال النبي ﷺ : الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة - رواه أهل السنن^(٣) ، فهذا في العمل . وقال في العلم : الرقيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة^(٤) . وقال : ثلاث من أخلاق المرسلين^(٥) .

^(١) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في عدة مواضع في صحيح البخاري .

انظر مثلاً فتح الباري (ط . السلفية) ٦ / ٢٢ حديث رقم ٣ (كتاب بدء الوحي ، الباب الثالث) ، ٨ / ٧٦٥ حديث رقم ١٩٥٣ (كتاب التفسير ، سورة إقراء) .

وهو في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أيضا (شرح النووي) ٦ : ١٩٧ - ٢٠٥ (كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي) .

وفي المسند (ط . الحلبي) ٦ / ٢٢٣ ، ٢٢٢ - ٢٢٣ .
^(٢) في الأصل : بناء ، ولعل الضواب مألوفة .

^(٣) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما في : سنن أبي داود (بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد) ١ / ٣٤٣ (كتاب الأدب ، باب في الوقار) وأوله : إن الهدى الصالح ... إلخ وجاء الحديث في المسند (ط . المعارف) ٤ / ٢٤٩ - ٢٤٥ (رقم ٢٦٩٨ ، ٢٦٩٩) .

^(٤) الحديث عن عبادة بن الصامت وأبي هريرة وأنس وأبي

سعيد الخديري رضي الله عنهم في :

فتح الباري ١٢ / ٣٧٣ رقم ٦٩٨٨ ، ٦٩٨٩ (كتاب التعبير ، باب الرقيا الصالحة جزء من ستة ...) ، ١٢ / ٤٠٤ رقم ٧٧٧ (كتاب التعبير ، باب العهد في المنام)

صحيح مسلم (بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي) ٤ / ١٧٧١ رقم ٢٦٦٣ ، ٢٦٦٤ (كتاب الرقيا ، الأحاديث من ٦ - ٨) .

سنن أبي داود ٤ / ٤٢٦ (كتاب الأدب ، باب ما جاء في الرقيا) .

سنن الترمذي (نشر الأستاذ عبد الرحمن محمد عثمان) ٣ / ٣٦٣ (كتاب أبواب الرقيا ، باب أن رقا المؤمن جزء من ستة وأربعين ...) ، ٣ / ٣٦٦ (كتاب أبواب الرقيا ، باب ما جاء في تعبير الرقيا) وهذا الحديث عن أبي رزین العنقل رضي الله عنه : وجاء الحديث في المسند وفي سنن ابن ماجه .

^(٥) في الأصل : ثلث من أخلاق المرسلين ، وبعد هذه العبارة يفاض بمقدار عشر كلمات تقريبا ، ولم أجد هذا =

وهذا الحب والإحساس الذي خلقه الله في النفوس هو الأصل في كل حسن وقبح ، وكل حميد وذم ، فإنه لولا الإحساس الذي يُعتمد به في حب حبيب وبغض بغض لما وجدت حركة إرادية أصلاً تحرك شيئاً^(١) من الحيوان باختياره ، / ولما كان أمر ونهى وثواب وعقاب ، فإن الثواب إنما هو بما تحبه النفوس وتتعم به ، والعقاب إنما هو بما تكره النفوس وتتعذب به ، وذلك إنما يكون بتعد الإحساس ، فالإحساس والحب والبغض هو أصل ما يوجد في الدنيا والآخرة من أمور الحى ، وبه حسن الأمر والنهى والوعد والوعيد . وذلك الأمر والنهى والوعد والوعيد هو تكميل للفطرة ، وكل منهما عون على الآخر ، فالشرعة تكميل للفطرة الطبيعية ، والفطرة الطبيعية مبدأ وعون على الإيمان بالشرع والعمل به ، والعبد من دان بالدين الذى يصلحه فيكون من أهل [العمل] الصالح^(٢) في الآخرة ، والشقى من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذى جاءت به الشرعة ، فهذا هذا ، والله أعلم .

انظر خواص الخواص ص ١٤٤ تحت الشرح

الكبير ، عن أبي الدرداء .

(١) في الأصل : شيء . وهو خطأ .

(٢) في الأصل من أهل الصالح ، ولعل الصواب ما

أثبت .

الحديث ولكن وجدت حديثاً بمعناه ذكره السيوطي في

الجامع الكبير ونصه : « ثلاث من أخلاق النبوة : تعجيل

الإفطار ، وتأخير السجود ، ووضع اليمن على الشمال في

الصلاة » . ثم قال السيوطي : « مطلب » الطبراني في المعجم